بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعدِّ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد . . فإن الحديث القدسى هو ما رواه النبى ﷺ عن ربه تبارك وتعالى على غير النسق القرآنى ونظمه وإعجازه، ولكنه أشبه فى نظمه وأسلوبه بسائر الحديث النبوى.

ويُعدُّ الحديث القدسى فى جملة السنة النبوية لكون راويه هو النبى ﷺ، وله صيغ كثيرة يُعرف بها الحديث القدسى، وأشهرها ما كان صريحًا فى بيان هذه النسبة مثل قول النبى ﷺ: «قال الله..» أو «يقول الله..» أو «قال ربكم..» أو «يقول ربكم» أو «أوحى الله.. أن ..»، أو ما أشبه ذلك من الصيغ التى تثبت القول للرب تبارك وتعالى عن طريق إسناد فعل القول ـ أو ما يؤدى معناه ـ إسنادًا صريحًا إليه.

والحديث القدسى مبثوث فى مدونات السنة ومصنفاتها المختلفة من صحاح ومسانيد وسنن ومعاجم وجوامع وغيرها، لا يتميز دون سائر أحاديثها فى باب مستقل أو موضع محدد.

وهو منقول بطريقة الآحاد كعامة الأحاديث النبوية ولذا فإنه يخضع

لقواعد علم الحديث وعلل الرجال وما يطرأ على الأسانيد والمتون من صحة وحسن وضعف ووضع، بل إنه لإقبال العامة عليه كان مجالاً لاختراع الكذابين واختلاق الوضاعين، مما يستلزم ضرورة النظر فى أسانيده وفحص متونه، ليعرف صحيحه من سقيمه.

وليس للحديث القدسى قوة إعجاز خاصة كالقرآن الكريم، ولكنه لجلالة نسبته، ولُطْف موضوعه كان له موقع خاص فى السمع واستقبال متميز فى النفس، وأثر ظاهر فى الشعور والوجدان.

وهو لا يتعرض لتفصيل الأحكام الفقهية، ولا لبيان الشرائع التعبدية كالحديث النبوى، ولكنه يركز على بناء النفس الإنسانية وتقويمها وتربيتها على الأغراض الشرعية، والمقاصد الربانية.

فالحديث القدسى يحض النفس على الطاعات، ويحذر من المعاصى والمنكرات، ويدعو إلى الخير والفضيلة ومكارم الأخلاق، ويوجه النفس إلى حب الله وطلب رضاه، ويُرغِّب فى الجنة ويُخوِّف من النار.

وهو فى جملة القول يدور فى فلك الوعظ والتوجيه والتربية.

قال ابن حجر الهيتمى فى شرح الأربعين النووية فى شرح الحديث الرابع والعشرين، وهو حديث أبى ذر الغفارى عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال:

«يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا..» الحديث.

قال: «اعلم أن الكلام المضاف إليه سبحانه ثلاثة أقسام:

أولها: وهو أشرفها «القرآن» لتميزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممرّ الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل.

ثانيها: كتب الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قبل تغييرها وتبديلها.

ثالثها: الأحاديث القدسية، وهى ما نُقل إلينا آحادًا عنه الله، مع إسناده لها عن ربه، فهى من كلامه تعالى، فتضاف إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم بها أولاً، وقد تضاف إلى النبى ﷺ؛ لأنه المخبر بها عن الله تعالى، بخلاف القرآن فإنه لا يُضاف إلا إليه تعالى».

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

«اختلاف القرآن الكريم والأحاديث القدسية والأحاديث النبوية أكبر دليل على أن القرآن والأحاديث القدسية ليسا من عند رسول الله ﷺ؛ لأن الشخصية الأسلوبية لأى إنسان هى شخصية مميزة، ولا يمكن أن ينفعل أحد بأحداث الحياة، فيكتب كل مرة بأسلوب مختلف تمامًا عن الأسلوب الآخر، أو يكتب اليوم بأسلوب، وغدًا بأسلوب، وبعد غد بأسلوب، ثم يعود بعد ذلك إلى الأسلوب الأول.

إنه إذا قرأ أحدهم القرآن نقول: هذا قرآن، وإن تلا أحدهم حديثًا قدسياً نقول: هذا حديث قدسى.

وإذا قال أحدهم حديثًا نبويًا قلنا: هذا حديث نبوى.

ولكل إنسان منا شخصية أسلوبية واحدة، إذا حاول أن يخرج منها فإنها تغلبه.

والفروق الهائلة فى الأساليب بين القرآن والأحاديث القدسية، والأحاديث النبوية أكبر دليل على صدق رسالة محمد ﷺ.

فرسول الله الذى لم يقرأ ولم يكتب، هل يمكن أن تكون له ثلاثة أساليب متميزة ؟ تختلف بعضها عن بعض تمامًا، فلا توجد عبقرية فى الدنيا من يوم أن خلقت إلى يومنا هذا لها ثلاثة أساليب، لكل منها طابع مميز لا يتشابه مع الآخر.

كيف يمكن أن يفرق رسول الله ﷺ وهو يتكلم بين القرآن والحديث القدسى، والحديث النبوى. بحيث يعطى كلاً منها طابعًا وأسلوبًا يميزه عن الآخر».

تلك كانت كلمات فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، أفاضها الله على قلبه وعقله ولسانه، فقد منحه لله سبحانه القدرة على النفاذ فيما وراء الأشياء، بالبحث وراء الألفاظ والمعانى الظاهرية للوصول إلى المفهوم العام والشامل الذى ينظم آيات القرآن في عقد واحد.

وهى القضايا الأساسية التى أنزل الحق سبحانه القرآن من أجلها، وهى:

- ألوهية الله الواحد الأحد.
- صدق رسالة محمد بن عبد الله ﷺ.
- اليوم الآخر.

إننى منذ استمعت لفضيلة الشيخ متولى الشعراوى فى السبعينيات، تلك البدايات الأولى لكثيرين ممن تتلمذوا على علمه ونهلوا من إشاراته البديعة، ولفتاته العميقة فى فهم القرآن وتفسيره.

منذ هذا الحين وأنا أوقن أن تفسير فضيلته كنز لا ينفد من العلم، بل إنه موسوعة إسلامية تتضمن كل أبواب العلم، فتجد فيه القصص، والفقه، والحكمة، والبلاغة، والبيان والبديع القرآنى، والحديث النبوى، والقدسى.

لقد بدأت منذ مدة طويلة فى إعداد هذه السلسلة من الأحاديث القدسية من خواطر فضيلة الشيخ، وها هو الجزء الأول يرى النور، عسى أن ينفع الله بها كل مُهْتدٍ فى ظلمات ألمَّتْ بالبشرية، وأرجو أن يمنحنا الله القدرة على متابعة الأجزاء، وأن يجعلنا من خدمة العلم الشريف.

أرجو أن يجعل الله هذه السلسلة فى ميزان حسناتنا، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وتُنشَر الصحف، وتُوزن الأعمال.

إنه نعْم المولى ونعم النصير.

عادل أبو المعاطي

القاهرة فى ٢٠ نوفمبر١٩٩٤